الفاجعة

أحي شباب دمشق يوم ٢٠ يوليو الماضي ذكرى شهداء ميسلون ، وخرجت وفودهم الى ذلك الوادي لوضع أكاليل الازهار على تلك الأجداث الطاهرة . وقد ألهمنا شاعر دمشق المبدع السيد خيرالدين الزركلي بهذه القصيدة العصماء بمناسبة تلك الذكرى

اللهُ للحدَثان كيف تكيدُ ... (بَرَدَى) يفيض و(قاسيون) يَميدُ
وفواجع المَلَوَين ما لجماحها ... كبح ، ولا لجراحها تضميدُ
تَفِدُ الخطوب على الشعوب مُغيرةً ... لا الزجر يدفعها ولا التنديدُ
هل في الشآم وأهله من نابس ... والنائباتُ لها عليه وفودُ
مافي (دِمَشْقَ) لناهض من عزّة ... وبها سُرادق غاصب ممدودُ
بلدٌ تبوّأه الشقاء : فكلّما ... قدُم استقام له به تجديدُ
لانت عريكة قاطنيه وما دروا ... أن الضعيف معذّب منكودُ
لمسوا حبال حقوقهم فتشبثوا ... والحق يُعوِزُه قناً وبنودُ
ما تنفع الحججُ الضعيفَ وإنما ... حق القويّ معزّز معضودُ

***

لهفي على وطن يجوس خلاله ... شُذّاذُ آفاقٍ شرادمُ سودُ
أبرابرُ السنغال تسلب أُمّتي ... وطني ولا يتصدع الجلمودُ
شرُّ البلية ـ والبلايا جمة ـ ... أن يستبيح حمى الكرام عبيدُ
من للحمى ؟ أيقيه من عَثَراته ... طولُ الأناة وفي الأناة جمودُ
زعماؤه متنافرون ، وأهله ... متناظرون ، وللمداة وعيدُ
كم ردّدوا رأياً لعلّ به الهدى ... والرأي آفة نُجحه الترديدُ
وردوا به كدَرَ الحياة وصفوها ... عبثاً وليس على السَّراب ورودُ

وتراجموا يتقلبون على لظىً وبكل قلب لوعةٌ ووقودُ
غَلَتِ المراجل فاستشاطت أمة عربية غضباً ونار رقودُ
زحفت تذود عن الديار وما لها من قوة ، فعجبتُ كيف تذودُ
الطائراتُ محوّمات حولها والزاحفات صراعهنّ شديدُ
ولقد شهدتُ جوْعَها ونَابَهً لو كان يُدفع بالصدور حديدُ

***

ويح الجناة على الشآم جنايةً تيمور ضاق بمثلها ويزيدُ
جهروا بتحرير الشعوب وأثقلت متنَ الشعوب سلاسل وقيودُ
كم أنّةٍ بلغ السماءَ دويُّها من أمة تفنى أسًى وتبيدُ
ريع القضاء لها فجلجل قاصف . وتزلزلت أرض وخرّ مَشيدُ

***

خدعوكِ يا أم الحضارة فارتمت تجني عليك فيالقٌ وجنود
قرآن أحمد إن بكاكِ فقد رثى لكِ قبله الإنجيل والتلمود

***

مَن ذا يكفكف أدمعاً مُهراقةً كالغيث تهطل حسرة وتجود
تُسقى بها في (النوطتين) مَباسمٌ ذهب النواح بمائها وخدود
أحمامةَ الوادي الأغنّ تفجعي وتوجّعي لا يَحسُن التغريد
هلاّ تلوتِ على معالم (جلّق) مني التحيةَ والمزار بعيد
لم أسلُها وحبستُ عنها عَبرتي إني على حرَق الأنين جليد

***

أنا في هواكِ كما يشاء هواكِ لي كلفٌ بحبك يا دمشق ودود

لم أنأَ عنكِ قِلًى ولا لنقيصة ... ما أنتِ إلا ربيبةَ الخمود
ولقد هجرتكِ حين حاق بكِ الأذى ... ما للأُباة على الهوان قعود
أُقصيتُ عنكِ ولو ملكتُ أعنتي ... لم تنبسط بيني وبينكِ بيدُ
أترينها الأيام تجمع بيننا ... وترين عهد صفائها سيعود ؟
أتضمنا بعد الشتات خمائل ... ريانة وأزاهر وورود ؟

***

مالي تُساورني الهموم كأنني ... هدَف الليالي والزمان يصيد
أمسى وأُصبح كالمدلّه حائراً ... يعتادني التأريق والتسهيد
وعهدتني ثبتَ الجَنان على النوى ... والنفسُ تضعُف تارةً وتئيد
نذروا دمي حنقاً عليّ ، وفاتهم ... أن الشقيّ بما جنيتُ سعيد
أللهُ شاء لي الحياة ، وحاولوا ... ما لم يشأ ، ولحكمهِ التأييد

***

قل للمشيد بذكرهم هلاً انثنى ... وعليه من كلَح الصُّغار برود
خان العهود فلم تبرّ يمينه ... وعلى رءوس الخائنين شهود

***

في ذمة الأجيال نهضة أمة ... أودى بها التهويل والتهديد
ونقت بعهد الأقوياء فأسلمت ... هيهاتَ ما للأقوياء عهود
ما سجّل التاريخُ عبرةَ وأدها ... إلاّ لينهض في الغد الموءود
إن لا تهبّ غداً تخلّد مجدها ... فلمجدها من بعده التخليد
والشعب إن عرف الحياة فما له ... عن درك أسباب الحياة محيد

خير الدين الزركلي